24

تاريخ الكنيسة الأرثوذوكسية الروسية في مصر

يرجع أول ظهور للشتات الروسي داخل مصر إلى أواخر القرن التاسع عشر، غير أنهم كانوا جميعا من حيث انتماؤهم القومى تقريباً من اليهود حتى عام ١٩٢٠. ذكر هذا نائب القنصل الروسي في القاهرة سيرجي زوييف في تقريره بداية عام ١٩١٥ إذ قال: «إن ٩٦٪ من المواطنين التابعين للقنصلية الروسية يعتنقون اليهودية[٧٢٦]، وأن الأعداد المحدودة من الروس الأرثوذكس، كانوا يتوجهون إلى الكنائس اليونانية»[٧٢٧].

يرجع تأسيس أول كنيسة أرثوذكسية روسية داخل مصر إلى نهاية عام ١٩١٤، حيث تم إجلاء البعثة الدينية الروسية مع رئيسها الأرشمينديريت ليونيد من فلسطين إلى الإسكندرية، بعد دخول الإمبراطورية العثمانية الحرب العالمية الأولى. وتزامن مع ذلك وصول مجموعة من الحجاج الأرثوذكس قوامها ٩٥ حاجاً[٧٢٨]. قامت القنصلية الروسية بتأجير منزل مستقل في ٢٤ ميدان الرمل (سعد زغلول الآن)، وهو المكان الذي أطلق عليه فيما بعد «البيت الروسي». وفي إحدى شقق الطابق الثانى أقاموا كنيسة باسم القديس «ألكسندر نيفسكي»[٧٢٩].

---

٧٢٦ عن مقالة: Русская православная церковь в Египте، والتي نشرت بمجلة «الأرشيف الشرقى»، إصدار معهد الاستشراق التابع لأكاديمية العلوم الروسية للمستشرق الروسي Belyakov Vladimir أرشيف السياسة الخارجية للإمبراطورية الروسية ملف ٣١٧، حافظة ٨٢٠/٣، وثيقة ٥٠٦، السطر ٥٣.

٧٢٧ لمزيد من التفاصيل أنظر: «فلاديمير بيلياكوف» (على ضفاف النيل المقدس) الروس في مصر. موسكو ٢٠٠٣. صـ ١٠٠- ١٠٢.

٧٢٨ أرشيف السياسة الخارجية للإمبراطورية الروسية. الملف ٣١٧، حافظة ٨٢٠/١، وثيقة ٦٥٧، السطر ١٢٩.

٧٢٩ المرجع نفسه.

في مارس ١٩٢٠ ، وصل الأراضي المصرية ما يقرب من ٤٥٠٠ لاجيء روسي وتم تسكينهم داخل معسكرات خاصة . في باديء الأمر ، تم وضعهم داخل معسكر المستشفي العسكرى في العباسية ، الواقعة على أطراف القاهرة ، حيث أقاموا داخل ثكنات . وخيام وفي إحدى هذه الخيام أقاموا كنيسة . وقدمت البطريركية اليونانية بالإسكندرية الأدوات الكنسية اللازمة ، ثم ما لبثت أن أرسلت البعثة الدينية في فلسطين في أبريل بعض الأدوات ، والتي أقامت في الإسكندرية حتى نهاية ١٩٢٠ . وخدم في هذه الكنيسة الكاهن بوليكارب فيلاتوف [٧٣٠] .

بمجرد تعافي المرضى والجرحى من اللاجئين الروس ، تم نقلهم من معسكر العباسية إلى معسكر أكثر رحابة في التل الكبير ، وهى المنطقة الواقعة بين القاهرة والاسماعيلية . هذا المعسكر تم تقسيمه إلى ثلاثة قطاعات : قطاع خاص بالرجال، وقطاع خاص بالعائلات ، وآخر تم تخصيصه ليكون مستشفي . وداخل كل قطاع أقاموا كنيسة . وخدم القمص بطرس جولوبياتنكوف في كنيسة المعسكر الرجالى، والأسقف ألكسندر فولكوفسكي في كنيسة معسكر العائلات ، فيما خدم الأب نيكولاي إيكويتكوف في كنيسة المستشفي .

وصل جزء من الأدوات الكنسية في شهر مايو بعد إغلاق معسكر العباسية ، والجزء الآخر حصلوا عليه من البعثة الدينية الروسية [٧٣١] ، غير أن هذه الأدوات لم تكن كافية بالنسبة للكنائس الثلاث ؛ ولذلك قام اللاجئون أنفسهم بتصنيع جزء من الأدوات اللازمة من المواد التي في متناول أيديهم .

في يونيو ١٩٢٠ ظهرت الكنيسة الروسية في القاهرة ، حيث تم تأسيسها داخل مبنى العيادة الروسية التي قام بافتتاحها الأطباء المرافقين للاجئين الروس . وفي أيام الآحاد كان يقوم بأداء الخدمة بها القمص المبجل الأب سمعان نيديلكو ، وكان المسؤول أيضاً عن الأمور المالية للعيادة . وبالنسبة للأيقونات فقد استعانوا بالفنانين المحليين لرسمها [٧٣٢] .

٧٣٠ أرشيف السياسة الخارجية للإمبراطورية الروسية . ملف ٣١٧ . حافظة ٨٢٠/٣ . وثيقة ١٩٣ . السطر ٨ . ٥١ . ٥٨ .

٧٣١ المرجع نفسه السطر ٣٨ – ٣٩ ، ٥١-٥٢ ، ٥٨-٧٤ ، وثيقة ١٩٤ ، السطر ٣٠ .

٧٣٢ « بيلين « . حياة الروس في مصر // « كوفالفسكى « روسيا في الخارج . باريس ، ١٩٧١ صـ ٣٢٠-٣٢١ .

في بداية ١٩٢١ ، قاموا بنقل سكان معسكر التل الكبير إلى معسكر آخر . وهو معسكر سيدي بشر الذي يقع على مقربة من الإسكندرية ، والذي تم تقسيمه أيضا إلى ثلاثة أجزاء . وهكذا انتقل اللاجئون إلى سيدى بشر وانتقلت معهم الكنائس أيضاً . وكان يخدم داخل الكنيسة المخصصة للعائلات وكنيسة المستشفي بالتناوب الأسقف ألكسندر فولكوفسكي ؛ وفي كنيسة معسكر الرجال خدم الأب إيبوليت شيشلوف وتجدر الإشارة إلى أنه إذا كان مجلس الإبراشية المنتخب قد تمكن من إدارة كنيسة معسكر العائلات ، ففي كنيسة معسكر الرجال لم يكتب النجاح لتشكيل مثل هذا المجلس بأي حال من الأحوال . وصرح أب هذه الكنيسة دوبريتسكي : « من الملاحظ عدم الاكتراث بأمور الكنيسة» [٧٣٣] .

في يونيو ١٩٢٢ ، تم إغلاق معسكر سيدى بشر و ترحيل اللاجئين الروس الباقين فيه، إلى كل من بلغاريا وصربيا ، ونقل الأدوات الكنسية إلى كنيسة القديس ألكسندر نيفسكي ، التي أسستها البعثة الدينية الروسية بعد إجلائها من فلسطين .

انتقلت القنصلية الروسية بعد الثورة إلى «البيت الروسي» حيث توجد الكنيسة ، فقد رفض الدبلوماسيون الروس الخدمة تحت السلطة السوفيتية ، وظلت الحكومة المصرية تعترف بهم وتتعامل معهم حتى أكتوبر ١٩٢٣ ، غير أنهم اضطروا إلى مغادرة الفيلا الفاخرة التي كانت مقر القنصلية الإمبراطورية بسبب نقص الأموال .

فيما بين عامي ١٩٢٠ـ ١٩٢٢ كان هناك معسكر روسي آخر بالقرب من الاسماعيلية وبجانب قناة السويس . في ذلك المكان ، تم تسكين « تلاميذ فيلق الدون» الذين تم إجلاؤهم من مدينة نوفوروسيسك . وهناك أقاموا كنيسة ، حيث خدم فيها الأب «ديمترى ترويتسكي» . وقام الوصى فيروشكين القوزاقى الأورالى بتكوين جوقة رائعة ، حتى أنها قامت بجولة في فلسطين ، وجلبت من هناك أيقونة بركة البطريرك الأرثوذكسى لدميانة المقدسية ، وجزءاً من الصليب المقدس [٧٣٤] .

٧٣٣ « فلاديمير بيلياكوف « «المدينة الروسية « في سيدى بشر . بعيون مجلة « في المهجر « // الأرشيف الشرقى رقم ١٣ ، ٢٠٠٥ صـ ٩٦ .

٧٣٤ «جوتشـــاروف يورى» . تلاميذ المدرسة العسكرية بالدون في مصر// أفريقيا بعيون المهاجرين . موسكو ٢٠٠٢ . صـ ٢٠-٢١ .

في عام ١٩٢٢ ، استقر المهاجرون الروس في القاهرة وقاموا بتأجير شقة فسيحة بالقرب من الكنيسة ، في منطقة مصر الجديدة الراقية ، وتم نقل كنيسة القديس نيكولاس[٧٣٥] من العيادة الروسية إلى هناك .

خلاصة القول ، كان يتم تشييد كنائس أرثوذكسية في أماكن تجمع الروس سواء داخل المعسكرات أو في المدن المصرية الكبيرة . وقد عاشوا في الفترة ما بين الحربين العالميتين في مدينتي القاهرة والإسكندرية ، كما عاش المهاجرون الروس أيضا في مدينة بورسعيد غير أن أعدادهم هناك كانت محدودة ، ولم تكن كافية لتشييد كنيسة خاصة بهم .

كانت الخلافات الطائفية بين المجتمع المضيف والشتات ، تساعد على توحيد وتماسك الشتات وأشار ليفين أن : « الكنائس والمساجد والمعابد في الشتات لا تصبح مراكز للعبادة فقط ، ولكنها تتحول إلى مؤسسات اجتماعية تؤدى وظيفة تكاملية خاصة في الشتات» [٧٣٦] .

هذه النتيجة ، يؤكدها تاريخ الشتات الروسي في مصر . فقد كانت الكنائس في القاهرة والإسكندرية التي تعمل تحت رعاية الكنيسة الأرثوذكسية في الخارج تساهم في تكتل وتوحيد الشتات الروسي ، غير أنه في يونيو ١٩٤٥ ، أصبح مصير الكنيسة في الإسكندرية السبب في شق وحدة صف الجالية الروسية . أثناء رحلة بطريرك موسكو وعموم روسيا أليكسي إلى منطقة الشرق الأوسط ، قام بزيارة مصر وكان ضمن برنامج إقامته في مصر زيارة الكنيسة الروسية التي تحمل اسم القديس ألكسندر نيفسكي في الإسكندرية ، والتي قام رئيسها الأب أليكسي د يختيريف بالتوبه و سمح له هو و رجال الدين والرعية بالانضواء تحت راية بطريركية موسكو [٧٣٧] .

كتب د يختيريف شارحاً هذه الخطوة : « لنبقى روس حتى النهايه فإننا نحتاج إلى الكنيسة الروسية والزعامة الروسية الروحية غير أن هذه الزعامه لم تشملنا ، فقد كنا وحيدين من الناحية الروحية وكان هذا سبب وضعنا المأساوى» [٧٣٨] .

٧٣٥ «بوفكالو» الكنيسة الأرثوذكسية الروسية في أفريقيا // آسيا وأفريقيا // آسيا وأفريقيا اليوم . رقم ١/ ٢٠٠٣ صـ ٧٣ .

٧٣٦ « ليفين « . عقلية الشتات (تحليل إجتماعى ثقافي) ، موسكو ٢٠٠١ صـ ٣٩ .

٧٣٧ مجلة بطريركية موسكو رقم ٩ ، ١٩٤٥ ، صـ ٢٢ .

٧٣٨ «ألكسى ديختيريف» ، الأب ، فرحة غير عادية // مجلة بطريركية موسكو، عدد ١٠ ، ١٩٤٥. صـ ١٣ .

في مساء ذلك اليوم الرابع عشر من يونية زار البطريرك أليكسي ، وفد من أبناء الرعية حيث أهداه الوفد لوحة تصور صعود الإله ، من عمل الفنان نيكيتا الذي كان ضمن الوفد . وفي اليوم التالي حصل رئيس الكنيسة على صك البطريركية بالمناولة الكنسية تحت إشراف بطريركية موسكو [٧٣٩] ، وتحولت كنيسة الإسكندرية إلى مقر للكنيسة الروسية الأرثوذكسية ، تحت قيادة بطريرك الروم الأرثوزوكس بالأسكندرية وظلت على تلك الصفة حتى عام ٢٠٠٠ .

غير أن انتقال الكنيسة الروسية في الإسكندرية من فئة الكنائس الأرثوذكسية الروسية في الخارج ،إلى بطريركية موسكو لم يحظ بتأييد كل أبناء الرعية . ولم يوافق على هذا الأمر أيضا بطريرك الروم الأرثوذكس خريستوفر ، والذي إقترح زيارة كنيسة القديس ستيفان أولاً في منطقة زيزينيا . بعد وقت قصير من مجيء الدوقة ميليسيا نيكولايفنا إلى الإسكندرية بصحبة ابنها الأمير رومان بتروفيتش [٧٤٠] حصلت على إذن بفتح إبرشية . وفي عام ١٩٤٧ ، وداخل شقة مستأجرة تم تأسيس كنيسة ، وخدم فيها الراهب القادم من إيطاليا زوسيما . وبحلول عام ١٩٥٢ ؛ وطبقاً لشهادة أحد المهاجرين يدعى ماركوف تم جمع الأموال لبناء كنيسة أرثوذكسية روسية في الإسكندرية [٧٤١] لكن هذا المشروع لم يخرج للنور ، وربما يرجع السبب إلى قيام الثورة المصرية في عام ١٩٥٢ ، وفي عام ١٩٥٤ تم نقل الكنيسة من الشقة المستأجرة إلى فيلا أنيقة، لكن في الرابع والعشرين من سبتمبر ١٩٦١ تم إغلاق الكنيسة . وعلى ما يبدو كان الأمر يكمن في النقص الحاد في أعداد الرعية ، فسرعان ما إنكمشت هجرة الشتات الروسي البيضاء ؛ لأسباب طبيعية فعلى الأرجح ربما تكون قد تأثرت بمنافسة كنيسة بطريركية موسكو لها . وقد انتقلت كل مقتنيات الكنيسة المغلقة لكنيسة القديس نيكولاس الكائنة في حى مصر الجديدة [٧٤٢] .

---

٧٣٩ المرجع نفسه .

٧٤٠ الدوقة «مليسيا نيكولايفينا» ، أميرة الجبل الأسود (٢٦-٧- ١٨٦٦ تسيتيتى- ٥- ٩ -١٩٥١ الإسكندرية) والمدفونة داخل سرداب الكنيسة الروحية في «كان» . زوجة الدوق «بيتر نيكولايفيتش» وأخت الدوقة «أنستازيا نيقولايفينا» . بعد وفاة زوجها (١٩٣١) سافرت من « فرنسا « إلى «إيطاليا» وبعد الحرب العالمية الثانية إتجهت إلى مصر (الهجرة الروسية إلى فرنسا ، مجلد ٢ . موسكو ٢٠٠٩) .

٧٤١ أرشيف «الدوما» الروسي في الخارج ، موسكو ، ملف ٦٤ . «ماركوف» . وثيقة ١١ ، ٨ .

٧٤٢ «بومكالو» ، المرجع السابق صـ ٧٣.

بُني المبنى الصغير لهذه الكنيسة متزامناً مع بناء ملجأ للروس في عام ١٩٥٧ بتمويل من الجمعية الخيرية الروسية. وقد أهدى الملك فاروق في عام ١٩٤٠ الجالية الروسية في القاهرة قطعة أرض للبناء عليها . يقع الملجأ والكنيسة في منزل رقم ١٢ بشارع أبو سمبل. وكانت الكنيسة تنتمي إلى الكنائس الأرثوذكسية الروسية في الخارج لكن فيما بعد وبحلول ١٩٨٠ لم يكن هناك أي تواجد للهجرة الروسية البيضاء بشكل فعلي ، وتم تسليمها مع الملجأ لليونانيين . وقد عرض نائب بطريرك موسكو وعموم روسيا على آخر رئيس للجالية الروسية «فولكوف» أن يجعل الملجأ والكنيسة تحت وصايته ، لكنه رفض بحجة أن الكاهن المبعوث من موسكو من البلاشفة [٧٤٣] .

وهكذا اختفت من الوجود الكنيسة الروسية الوحيدة في القاهرة ، ولكن بعض الروس واصلوا (ويواصلون حتى الآن) زيارتها ، مؤكدين أن الكنيسة مليئة بصلوات مواطنينا المؤمنين . قام اليونانيون بعد ذلك بعمل توسيعات للكنيسة ، ويوجد بها حتى الآن كثير من الأيقونات الروسية وبعضها ذات كتابات منقوشة . ويقام القداس داخل الكنيسة يوم الجمعة (يوم العطلة في مصر) والأحد الساعة العاشرة صباحاً باللغة العربية . وفي فبراير من عام ٢٠١٠ ، زار المؤلف هذه الكنيسة وحضر القداس .

بعد انهيار الاتحاد السوفيتي زاد الاهتمام بالدين في روسيا بشكل حاد . وتناول هذه الظاهرة مواطنونا العاملين في مصر من موظفي السفارات والبعثات التجارية والمعلمين داخل مدارس السفارة والصحفيين والسيدات المتزوجات من مصريين . ثم ظهرت في القاهرة طائفة أخرى من العمالة الروسية والأوكرانية المرتبطة بعقود عمل من الموسيقيين وراقصي الباليه والمدربين الرياضيين وبعض المتخصصين الآخرين . وبما أنه لا توجد كنيسة روسية في القاهرة ، بدأ المؤمنون يرتادون الكنائس اليونانية [٧٤٤] لحضور القداس والذي يقام بلغة غير مفهومة لهم . من ناحية أخرى ، فبينما واصلت الكنيسة الروسية في الإسكندرية عملها باسم القديس ألكسندر نيفسكي (في عام ١٩٨٨ تم الإحتفال بألف عام على

٧٤٣ «فلاديمير بيلياكوف» . مصر الروسية . موسكو ٢٠٠٨ ، صـ ٢٢٣ .

٧٤٤ عدا الإشارة إلى الكنيسة الروسية السابقة داخل الملجأ ، يوجد في القاهرة ثلاث كنائس يونانية أخرى وهى كنيسة القديس « نيقولاى « في المجمع البطريركى بـ « الحمزاوى « . والتي تم إنشاؤها عام ١٨٣٩ بأموال روسية . وهى مزينة بأيقونات روسية مزخرفة ، وكنيسة القديس « جورج « في القاهرة القديمة والمقامة عام ٥٣٠ وحصلت على شكلها الحالى عام ١٩٠٩ ، وذلك بعد اندلاع حريق عدا ذلك الجبانة اليونانية في القاهرة القديمة ، حيث تقع كنيسة « العذراء « .

تعميد روسيا) لم يتبق هناك أي أحد من مواطنينا . فقد أغلق فرع البعثة التجارية وكذلك ممثلية الأسطول البحري ، وكان إجمالي الموظفين داخل القنصلية والمركز الثقافي للعلوم والفنون لا يتجاوز عشرة أشخاص . بالإضافة إلى هذا العدد ، كان يعيش في الإسكندرية حوالي ٢٥ ـ ٣٠ سيدة روسية متزوجات من مصريين . وهكذا إختمر تدريجيا في موسكو القرار الذي تم اتخاذه في بداية عام ١٩٩٩ بنقل مقر الكنيسة الأرثوذكسية الروسية من الإسكندرية إلى القاهرة . وكان الدافع إلى ذلك ليس بسبب العدد الكبير للرعية المتواجد في القاهرة فقط ، ولكن بسبب مشكله حياتية بحتة ظهرت مع كنيسة الإسكندرية فالبيت الذي تقع فيه الكنيسة قد تغير مالكه وبعد مرور ٩٠ عاماً كان من المستحيل إثبات ايجار الشقة الرخيص بطريقة قانونية ، فيما طالب المالك الجديد بحقه في استرجاع الشقة .

ولم يفكر أحد في القاهرة في بناء كنيسة خاصة ؛ نظراً لعدم توفر المال لذلك الأمر لدى بطريركية موسكو . وكذلك عدم وجود راعٍ من شركات الأعمال الروسية الكبيرة التي قد تمول عملية البناء . في باديء الأمر ، كان نائب بطريركية موسكو الأسقف ديمتري نيتسفيتايف ينوي تأجير شقة وتحويلها إلى كنيسة ، كما حدث في الإسكندرية .

لكن سرعان ما ظهرت فكرة أخرى ، فقد عرضت البطريركية اليونانية بالإسكندرية التخلي عن أحد المباني الكنسية المهجورة المتواجدة على أطراف القاهرة لصالح الكنيسة الروسية ولكن بشرط ، هو أن تقدم بطريركية موسكو لليونانيين أحد المباني الكنسية داخل العاصمة الروسية . وكانت الفكرة مغرية فالكنيسة الحقيقية أفضل من أي كنيسة داخل منزل ، ولكن تبقى مشكلة واحدة وهى أن المبنى المقترح من قبل اليونانيين ، الذي كان قد تم تشيده عام ١٩٢٠، لم يستخدم منذ ما يقرب من نصف قرن .

بعد ثورة ١٩٥٢ مباشرة تبنت الحكومة المصرية سياسة تقليص العمالة الأجنبية ، وبناءً على ذلك فقد تقلصت أعداد الأوروبيين بشدة ، وكان من ضمنهم اليونانيين ولكن بقيت الكنائس . وكان المبنى المقترح يحتاج لكثير من الإصلاحات . ولم تكن هناك أموال مخصصة لذلك . وبعد محادثات مكثفة شارك فيها المؤلف (كنت أعمل آنذاك مراسلاً لجريدة «العمل») تم اتخاذ قرار يقضي بتسلم المبنى ، وجمع الأموال لترميمه من جميع أنحاء العالم .

كان من الممكن أن تتأخر عملية الترميم لسنوات ، لولا تواجد «دينيسينكو» أحد أبناء الجالية الروسية ، والذي كان يرأس في ذلك الوقت فرع أضخم شركة بناء أمريكية في مصر «بكتل» وتولى المتخصصون التابعون لشركته تحديد حجم العمل ، وإعداد دراسة الجدوى وساعد بنفسه في جمع الأموال لإتمام عملية الترميم . وقد كرس بطريرك الإسكندرية اليونانى وعموم أفريقيا «بيوتر السابع» الكنيسة الروسية الواقعة في ٤٥ شارع المسيري في حى الزيتون بالقاهرة في نوفمبر ٢٠٠٠ للقديس ديمتري سولونسكى . وقد حضر الاحتفال سفراء الدول الأرثوذكسية ، ووفد من بطريركية موسكو [٧٤٥] وتعين إغلاق كنيسة الإسكندرية .

يقام القداس داخل الكنيسة الروسية بالقاهرة مرتان أسبوعياً وذلك يومىَ الجمعة والأحد وفي الأعياد ، وكذلك في تلك الأعياد التي توافق أيام أخرى في الأسبوع . ويتردد على الكنيسة مواطنون من روسيا و أوكرانيا وبيلاروسيا وصربيا وبلغاريا . ومن الجدير بالذكر أنه على مدار ما يقرب من قرن على وجود الكنيسة الأرثوذكسية الروسية في مصر ، لم تكن هناك أية محاولات لجذب السكان المحليين إليها ؛ فالكنائس الروسية كانت تقتصر على خدمة مواطنيها ومواطني البلاد الأرثوذكسية الأخرى .

٧٤٥ لمزيد من التفاصيل أنظر : «فلاديمير بيلياكوف» . الطريق إلى المعبد // « ترود « ٥-١٢-٢٠٠٠ .